مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40) العدد (5)2018
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (40) No. (5) 2018

الغزل بالمذكّر في الشّعر الأندلسي
ابن البني أنموذجاً

د. وفاء جمعة*

(تاريخ الإيداع 5 / 8 / 2018. قبل للنشر في 10 / 9 / 2018)

□ ملخّص □

إن أشعار الغزل بالمذكر كوّنت جزءاً كبيراً من ديوان الشِّعر الأندلسي ، وكان هناك العديد من البواعث التي أذكت جذوته ، ومن أهم هذه البواعث : الباعث الفنيّ ، والباعث النّفسي المتمثل في حب بعض الشعراء للغلمان ، والتغزّل بهم أو سعي البعض وراء الجمال وتصويره أينما وجد ، والباعث الاجتماعي الذي أسهم في شيوع هذا الغرض وانتشاره بشكل كبير بين مختلف فئات المجتمع الأندلسي .

وكان ابن البني من أهم الشعراء الذين وقفوا معظم أشعارهم على هذا الغرض ، وقد كان (أليف غلمان) كما وصفه معاصروه ، وقد حدثنا في غزله بالمذكّر عن حقائق واقعة وأحداث معاشة .

الكلمات المفتاحية : الغزل ، الغزل بالمذكّر ، الشذوذ الجنسي .

* مدرّسة في قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة تشرين ، اللاذقية – سورية .

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (40) العدد (5)2018
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (40) No. (5) 2018

The Male Flirtation in the Andolesian Poetry Ibn Al-buni as An example

Dr. Waffa Jumma*

(Received 5 / 8 / 2018. Accepted 10 / 9 / 2018)

□ ABSTRACT □

The poems of male flirtation formed a great part in the volume of poetry .
There were a lot of motivation that illuminated it's roots , and the most important types of these motives are the psychological and artistic motives that is represented in the love of some poets for slaves and fliratating of them . Some of the poets ran after beauty and embodying it where ever it was .
The social motive which contributed in pubuLarising and spreading it largely , Among different groups of Andolesian people . Ibn Al-buni was .
One of the most important poet who devoted most of his poems for that purpose .
Ibn Albuni " is slaves lover " as he was described by people in his time . He talked to us in his poems " The male " a bout real facts and lived events .

Key Words : Flirtation , male flirtation , homo sexual .

***Professor in faculty of art – Arabic department – Tishreen university .**

مقدّمة :

إنَّ البيئة الأندلسيّة ساعدت على ازدهار تيّار الغزل ، وكذلك امتزاج العرب بسكّان الجزيرة الأندلسيّة ، وحياتهم حياة حضرية ناعمة مترفة هيّأت لهم سبل اللهو والمجون ، وحرّرتهم من كثير من الأغلال والتّقاليد الموروثة ، كما كان للأندلس حظٌّ كبير من الجمال البشريّ كحظّ طبيعتها من الجمال ، ممّا جعل ألسنة الشّعراء تنثال ألحاناً عذبة في وصف هذا الجمال الفاتن الذي ملك قلوبهم ، فقد عرف الأندلسيّون الحبّ بمختلف ألوانه ، عرفوه حبّاً عفيفاً ، وعرفوه حبّاً متطرّفاً ، فكان الغزل بنوعيه : الغزل بالمذكّر ، والغزل بالمؤنّث .

وقد كوّنت أشعار الغزل بالمذكّر جزءاً كبيراً من ديوان الشّعر الأندلسيّ فقد قال فيه معظم شعراء الأندلس إلاّ أنّ معظم المؤلفين عند حديثهم عن الأدب الأندلسيّ يتحرّجون من ذكر ظاهرة الغزل بالغلمان ، فنجد الدكتور شوقي ضيف عندما قام بنشر كتاب (المغرب) لابن سعيد ، أسقط منه ثلاث موشّحات لابن حزمون في الغزل بالمذكّر ... [1] .

وقد غاب عن الباحثين أنَّ دراسة هذا الموضوع قد تسهم في تحجيم هذه الظّاهرة وتقليصها في المجتمع الأندلسي ؛ لأنّها تظهر البواعث الحقيقيّة وراء شيوع هذا الغرض .

ولمّا كان الشّاعر ابن البنيّ من أكثر الشّعراء الذين نظموا في هذا الغرض ، وحدّثنا في غزله بالمذكّر عن حقائق واقعة وأحداث معاشة ، ولم يحظ بالاهتمام الكافي من الباحثين والمختصين ؛ لذلك جاءت هذه الدّراسة لإلقاء الضّوء على هذا الشّاعر ، والحديث عن غزله بالغلمان ، فقد كان (أليف غلمان) كما وصفه معاصروه ... ؛ وذلك من خلال المنهج التّحليلي الذي يقوم على دراسة التّجربة الأدبيّة التي هي مجموعة من الصّور الفنّيّة جسَّمها اللفظُ المؤتلف مع المعنى في نسق تعبيري ذي علاقات نفسيّة وتاريخيّة واجتماعيّة ، وفي تعبيره عن هذا الاتّجاه ؛ اتّجاه الغزل بالغلمان ، نلحظه تارة يقف على سطوح التّجربة دون أن يلجأ إلى أعماقها ؛ فتسيطر عليه الصّورة الماديّة البارزة ، ونراه تارة أخرى يدفعنا إلى مشاركته حالته العاطفية من خلال القلق والانفعالات التي تموج في بعض نصوصه ؛ فضلاً عن إعارته اهتماماً للحالات النّفسيّة في صوره الشّعرية فتناول بذلك تمتمة الرّوح والعاطفة ؛ بأسلوب امتاز بسهولة الألفاظ وسلاستها ، واتّساق العبارات وانسجامها ، ووضوح المعاني وظهورها ، والبعد عمّا يرهق الفكر ويكدّ الذّهن ، وعن تحميل الألفاظ ما لا تطيق ؛ لذلك كان غزله بالمذكّر رقيقاً خفيفاً على السّمع .

يعدّ الغزل من أوسع أبواب الشّعر التي طرقها الشعراء في مختلف العصور ؛ فهو أحبّ الفنون الشّعريّة إلى القلوب ، وأكثرها تأثيراً في النّفوس ، وأشدّها علوقاً بالأذهان ، وأخفّها نغماً في اللّسان ؛ ولأنّه كما ذكر ابن قتيبة أنَّ النّاس يميلون إلى سماع التّشبيب لأنّه " قريبٌ من النّفوس ، لائط بالقلوب لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبّة الغزل، وإلفِ النّساء ، فليس يكاد أحدٌ يخلو من أن يكون متعلّقاً منه بسبب ، وضارباً فيه بسهمٍ ، حلالٍ أو حرامٍ ... " [2] .

وقد ازدهر الغزل في العصر الأندلسي ازدهاراً قلّ نظيره في البلاد العربيّة الأخرى ، وقد ساعد على إذكاء جذوته أمور كثيرة منها : الجمال والطبيعة الخلابة ؛ فقد جاء في نفح الطّيب عند ذكر إشبيلية نقلاً عن مناهج الفكر ؛ " وهذه المدينة من أحسن مدن الدّنيا ، وبأهلها يضرب المثل في الخلاعة ، وانتهاز فرصة الزّمان السَّاعة بعد السّاعة ، ويعينهم على ذلك واديها الفرج وناديها البهج ، وهذا الوادي يأتيها من قرطبة " [3] .

---

[1] **ديوان الموشحات الأندلسية ، تح : د. سيّد غازي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ج.م.ع. ، 1979 م ، ج7/1 من المقدّمة .**

[2] **الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، تح: أحمد محمد شاكر ، دار الحديث ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 1996 م ، ج75/1 .**

[3] **نفح الطيب ، المقري ، تح : د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، ج159/1 .**

والتقدّم العمراني والتّحضّر الاجتماعي ممّا أوجد كثرة مجالس اللهو والشّراب ومجالس الطّرب والغناء إضافة إلى وجود السّبي الدّائم ممَّا أوجد أسواقاً للنّخاسة والرّقيق والتّجارة فيها ؛ الأمر الذي أرخص اقتناء الجواري والغلمان [1] .

ومن استعراض أنواع الغزل في الشّعر العربي نجد أنّ المرأة هي المقصودة ببوح الشّاعر وصبابته وحبّه، لكنّنا إذا نظرنا إلى الموضوع من زاوية أخرى ، وجدنا أنّ هذا الغزل يتطوّر تطوّراً ملموساً وخاصّة في العصر العبّاسي ، وهذا التّطوّر لا يتعلّق بالصّياغة والمعنى بقدر ما يتعلّق بالمخاطب الذي يوجّه إليه الغزل ، فقد حاد بعض الشّعراء عن الغزل بالمرأة إلى الغزل بالمذكّر ... [2] .

فقد عرف الشّعر ما يسمّى الغزل بالمذكّر وهو وصف الغلمان والسّقاة والنّدماء الذين تكوّنت منهم طبقة جديدة في المجتمع تجمع بين صفات النّساء والرّجال ، وتعنى بالزّينة وتتخنّث تخنّث النّساء ، ويعبث بها المجّان والعابثون عبثهم بالجواري والقيان ؛ ونشأ في المجتمع العبّاسي ما يغلب على الظنّ أنّه ضربٌ من الانحراف الجنسي في علم النّفس بحبّ الجنس [3] .

وقد عدّه الباحثون المحدثون ضرباً من الأمراض النّفسيّة ، وتحدّثوا عن أسبابه وبواعثه ، وقد ذكرت د. نادية العوضي أسباباً عدّة لهذا الشّذوذ الجنسي ، وذكرت أنّه مرض نفسي منشؤه الاضطرابات النّفسيّة ، ومن أسبابه :

- وجود فروق تشريحيّة في حجم الجزء الأمامي للهايبوثلاموس من المخّ بين الرّجال الشّواذ والرّجال الطبيعيين.
- الجين الشّاذ .
- والنّظرية البيولوجيّة : التي ترجع سبب سلوك البعض هذا السّلوك الشّاذ إلى تعرّض الأم إلى ضغوط نفسيّة شديدة أثناء الحمل وهو ما يتسبّب في حدوث اضطراب هرموني يؤثّر في تكوين الجنين .
- علاقات متوترة مع الآخرين .
- الاعتداء الجنسي في سن الطّفولة .
- وكذلك مؤثرات بيئيّة [4] .

وقد فشا هذا النّوع من الغزل الخليع ، ورأت القيان والإماء عزوف الشّعراء عن متابعتهنّ ووصف محاسنهن ، والتّغزّل بجمالهنّ اتّجهن اتّجاهاً جديداً في الزّي ، فأصبحن يلبسن ثياباً تحاكي ثياب الغلمان بل هي نفسها ، وأخذن يقصصن شعورهنّ على طريقة الغلمان ، حتّى يستفلتن شعراء المذكّر لهنّ ثانية ، واستجاب الشّعراء للدعوة ... وراحوا يتغزّلون بالغلاميات ... [5] ومن ذلك قول ابن شُهيد يصف حركاتهنّ وسكناتهنّ داخل المجلس – مجلس الخمرة [6] ، يقول من الرمل :

وربيبٍ قام فينا ساقياً كالرّشا أُرضِعَ بينَ الرّبْرَبِ

---

[1] **الغزل في بلاد الأندلس وشعراؤه منهم ابن زيدون ، فالح الحجية ، نشر بتاريخ 24 / 4 / 2011 م**
http://Falih.ahlamontada.net/t1061-top.

[2] **أقسام الغزل في الشعر العربي ، الكاتب : أوان الورد ، نشر في 2011/11/26 م**
http://www.startimes.com .

[3] **الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، د. أحمد عبد الستّار الجواري ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، لبنان – بيروت ، ص149 و 153 .**

[4] **الشّذوذ الجنسي ... أوهام علمية ، د. نادية العوضي ، الصحّة والطّبّ البديل / العربية / علوم وتكنولوجيا ، نشر في 2001/9/8 م .**

[5] **أقسام الغزل في الشعر العربي ، الكاتب : أوان الورد ...**

[6] **المجالس الشّعريّة في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة ، د. أزاد محمد كريم الباجلاني ، ص72 .**

ظبيةٌ دون الصّبايا قُصِّصَتْ فأتَتْ غيداءَ في شكل الصّبي [1]

وقد انتقلت ظاهرة الغزل بالمذكّر إلى الأندلس ، وانتشرت انتشاراً واسعاً فاق نظيره في المشرق دون حياء في وصف أو خجل في تصوير الشّذوذ الجنسي أو ذكر عورات الجسد ؛ وذلك يعود لبواعث عدة ، منها :

الباعث الفنّي : وذلك أنَّ الشّاعر الأندلسي يقول في هذا الغرض محاولة منه لإثبات مقدرته الفنّيّة محاكاة لمشاهير الشّعراء الذين سبقوه في القول بهذا الغرض ، ومن ذلك ما قاله يحيى بن الحكم الغزال محاكياً أبا نواس [2] ، من الوافر :

وأغيد ليّن الأعطافِ رَخصٍ كحيلِ الطّرفِ ذي عُنُقٍ طويلِ

نرى ماء الشّباب بوجنتيه يلوحُ كرونقِ السّيف الصّقيلِ [3]

وقد تأخذ محاولة إثبات المقدرة الفنّيّة شكلاً آخر يتمثّل في القول على البديهة في أيّ غرض يطلب من الشّاعر القول فيه ، وهو معيارٌ أولاه الأندلسيّون أهميّة كبيرة في الحكم على ملكة الشاعر .

ويذكر أنَّ الحاجب (المنصور بن أبي عامر) كان لا يدخل الشّاعر في ديوان الشّعراء إلاّ إذا اختبره في القول على البديهة ، وقد تعقد هذه المجالس بين الأصدقاء بعيداً عن أصحاب النّفوذ يتطارح بها النّدماء الشّعر ، وقد يطالعنا في هذه المجالس نوع آخر من البديهة وهو الإجازة ومعناه أن ينظم الشاعر على شعر غيره في معناه ما يكون به تمامه وكماله .. [4] ، ومن بديع الإجازة ما حصل في مجلس الوزير أبي جعفر بن عباس ، وزير المنصور بن أبي عامر عندما قال الوزير في غلام : مَرَضُ الجفونِ ولثغةٌ في المنطق ، وكان ابن شُهيد حاضراً فأجازه بقوله ، من الكامل :

مَرَضُ الجفونِ ولثغةٌ في المنطقِ سببان جرّا عشق من لم يَعْشَقِ

من لي بألثغَ لا يزالُ حديثُهُ يُذكي على الأكبادَ جمرةَ مُحْرِقِ [5]

وقد كثرت الإجازات بين الأندلسيين في هذا الغرض لا لشيء ، وإنّما لإثبات قدرتهم في القول على البديهة فضلاً عن إثبات قدرتهم في القول في مختلف الأغراض دون استثناء ؛ لذلك قلّما نجد شاعراً أندلسياً لم يقل في هذا الغرض لنفي تهمة التقصير عن نفسه ممّا أسهم في شيوع هذا الغرض في الأندلس [6] .

---

[1] ديوان ابن شُهيد الأندلسي ، تح : يعقوب زكي ، راجعه د. محمود علي مكي ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة – مصر ، ص92 .

[2] الغزل بالمذكّر في الشّعر الأندلسي – بواعثه وخصائصه، م.م جنان خالد ماهود ، جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية ، مجلّة كلية العلوم الإسلامية ، ص516-517 .

[3] ديوان يحيى بن الحكم الغزال ، تح : د. محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت – لبنان ، دار الفكر ، دمشق – سورية ، ط1 ، 1993 م ، ص68-69 .

[4] الغزل بالمذكّر في الشّعر الأندلسي ، م.م. جنان خالد ماهود ، ص517 .

[5] ديوان ابن شُهيد الأندلسي ، ص132 .

[6] الغزل بالمذكّر في الشّعر الأندلسي ، م.م. جنان خالد ماهود ، ص525 .

والباعث النّفسيّ : إذا كان قسمٌ من شعر الغزل بالمذكّر قد قيل على سبيل التّقليد الفنّي فإنَّ القسم الآخر كان يعبّر عن نزعة نفسيّة منها ما كان مرضياً يتمثّل في عشقهم للغلمان والتّعبير عن هذا الحبِّ الشّاذ شعراً فقد تورّط في هذا الحبّ عددٌ من شخصيّات الأندلس المرموقة [1] .

ولا يمكننا القول : إن جميع الأشعار التي قيلت بدافع نفسي ترجع إلى نزعة مرضية ، بل هناك ما هو نابعٌ عن نزعة غير مرضية ، متمثّلة في شغف الأندلسيين بالجمال وتتبعه أينما وجد في الطّبيعة أو في المرأة أو الغلام ..

وقد وجدنا ابن حزم يورد قصص أولئك الذين انحرفت بهم عواطفهم أو يعشقون صورة الجمال الكامل في وجوه الغلمان، فلا يرفع في وجوههم سوطه القارع ، أو يلاحقهم بالسّبّ ، ولا يزيد قوله عن (عفا الله عن الجميع) [2] بل إنّنا نجد ابن حزم نفسه ، يقول عندما رأى غلاماً وسيماً ، من الطويل :

وذي عذلٍ فيمن سبَانيَ حُسْنُهُ يطيلُ ملامي في الهوى ويقولُ

أَمِنْ أجل وَجْهٍ لاحَ لم ترَ غيره ولم تدرِ كيف الجسمُ أنتَ عليلُ

فقلت له : أسرفتَ في اللومِ فاتّئِدْ فعنديَ ردٌّ لو أشاءُ طويلُ

ألم ترَ أنّي ظاهريُّ وأنَّني على ما أرى حتّى يقومَ دليلُ [3]

ولا بدَ من الإشارة إلى الباعث الاجتماعي ، فإذا كان الباعثان قد أسهما في ظهور أشعار الغزل بالمذكّر فإنَّ تقبّل المجتمع الأندلسي له قد أسهم في شيوعه بوجه لافت للانتباه ويمكن إرجاع ذلك إلى التّرف الذي نعم به قسمٌ كبيرٌ من الأندلسيين ، وانتشار مجالس الخمر ، والغناء واللهو ؛ وكثيراً ما كان شعر الخمر مزاجاً من وصف مجلسها وأثرها في النفوس مع غزلٍ بالمذكّر ؛ فنراهم يمزجون بين القول في الخمر والغزل في السَّاقي [4] .

ولقد استتبع هذا اللون من الشّعر وصف من يمثلون أطرافاً من حياة المجتمع الذي جعل من طبيعته الإغراق في المتعة الحسّيّة وحياة الصّخب والغناء والرّقص ؛ فهذا أبو الحسن علي بن خروف الشّاعر يصف راقصاً بأبيات يتمشى فيها مع طبيعة مجتمعه ، يقول ؛ من الكامل :

ومنوّع الحركاتِ يلعبُ بالنُّهى لَبِسَ المحاسنَ عند خَلْعِ لباسِهِ [5]

---

[1] **المرجع السابق نفسه ، ص526 .**

[2] **انظر في ذلك : طوق الحمامة في الإلفة والألاف ، ابن حزم الأندلسي ، تح : د. الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر، ط3 ، 54-55 (باب الإذاعة) ، و ص59-60 (باب الطاعة)، و ص141-142 (باب الموت) ، و ص147 (باب الموت) ، و ص159 (باب قبح المعصية) .**

[3] **نفح الطيب ، المقري ، ج82/2 ؛ وفي هذه الأبيات إشارة إلى المذهب الظاهري الذي كان ابن حزم من أئمّته .**

[4] **الأدب الأندلسي : موضوعاته وفنونه ، د. مصطفى الشكعة ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، ص53 .**

[5] **رايات المبرّزين وغايات المميزين ، أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد الأندلسي ، تح : د. محمد رضوان الداية ، دار طلاس للدّراسات للدّراسات والنّشر ، دمشق – سورية ، ط1 ، 1987 م ، ص139 .**

وهكذا نجد أنَّ عادة التغزّل بالغلمان كانت ظاهرة اجتماعية متفشيّة في المجتمعِ الأندلسي أسرف في تصويرها الشعراء ، حتى هؤلاء الذين ترتبط أسماؤهم بسمات من الوقار قد تورّطوا في إنشاء شعر الغزل بالغلمان حتى يخيّل لمتابع الدّراسة في حقل المجتمع الأندلسي أنّ هذه العادة الغريبة قد أصبحت جزءاً من كيان ذلك المجتمع [1] .

وتبعاً لهذه الآفة الخلقية المنحرفة في الأندلس وجدت طائفة من المخنّثين الذين تروى حولهم بعض الطُّرف التي تجمع بين الفكاهة والبذاءة ، وكان في مقدّمة هؤلاء رجل اسمه (الهَيْدُورة) [2] ؛ رويت حوله بعض النّوادر الخادشة للحياء ، كما وجد في الأندلس أيضاً طبقة من أصحاب الشّذوذ وكانوا أكثر عدداً في قرطبة منها في أيّة مدينة أخرى ، ولقد تجمّعوا في حيٍّ منها بعينه اسمه (درب ابن زيدون) [3] .

ويبدو أنَّ ابن زيدون كان من المتّهمين بحبّ الغلمان ؛ كما نستشفّ من هجاء ولاّدة له ، ومن التّسمية السّابقة (درب ابن زيدون) وفي ذلك إشارة إلى الحياة الماجنة التي يحياها ابن زيدون فقد نسب إليه الشّارع الذي يلتقي به الشّواذ من الرجال .

تقول ولاّدة في هجاء ابن زيدون ؛ من الوافر :

ولقّبْتَ المسدَّسَ وهو نعتٌ تفارقك الحياةُ ولا يفارق

فلوطيٌّ ومأبونٌ [4] وزانٍ وديّونٌ وقرنانٌ وسارق [5]

وقالت فيه أيضاً ؛ من السريع :

إنَّ ابنَ زيدون على فضله يغتابني ظلماً ولا ذنبَ لي

يلحظني شزراً إذا جئته كأنّني جئْتُ لأخصي علي [6]

ولم يقتصر الشّذوذ الجنسي على الرّجال فقط ، بل اتّهمت بعض الشّاعرات بالشّذوذ أيضاً ، فقد اتّهمت ولاّدة بأنّها قد علقت بفتاة مشهورة في زمانها تسمّى مهجة بنت التّياني القرطبيّة ، ويبدو أنَّ ولاّدة قد ذهبت مع أحد الرّجال وتركتها في وقت من الأوقات فوقع بينها وبين ولاّدة ما يقتضي أن قالت [7] ؛ من السّريع :

ولاّدةُ قد صرْتِ ولاّدةً من دون بَعلٍ فُضِحَ الكاتمُ

---

[1] **الأدب الأندلسي : موضوعاته وفنونه ، د. مصطفى الشكعة ، ص54 .**

[2] **الهَيْدُورة : مخنَّثٌ بقرطبة برع في التّخنيث والكَيْد ، حتّى يُضْرَبُ به المثل .**

[3] **المغرب في حُلَى المغرب ، (صنّف بالموارثة) ، أشهرهم ابن سعيد ، تح : د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط2، 1964 م ، ج1/176-177 .**

[4] **مأبون : أبنْتُ الرّجلَ آبنُهُ إذا رميتَه بخلّة سَوْء ، لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، المجلد الثالث عشر ، ص3 .**

[5] **نفح الطّيب ، المقرّي ، ج4/206 .**

[6] **المصدر السابق نفسه ، ج4/206 .**

[7] **مباهج الأندلس ، محمد بن عبد الرحمن البشر ، ص259 .**

حكت لنا مريمَ لكنّه نخلةُ هذي ذكرٌ قائمُ [1]

هذا ما أوجده التّرف في المجتمع الأندلسي من مفاسد اجتماعيّة ، فالتّرف والنعمة إذا حصلا لأهل العمران دعاهم بطبعه إلى مذاهب الحضارة والتخلّق بعوائدها ، والحضارة في التّفنّن في التّرف واستجادة أحواله والتكلف بالصّنائع التي تؤنّق من أصنافه وسائر فنونه ... وإذا بلغ التّأنّق في هذه الأحوال المنزلية الغاية تبعه طاعة الشّهوات [2] . فمن مفاسد الحضارة الانهماك في الشّهوات والاسترسال فيها لكثرة التّرف ، فيقع التّفنن في شهوات البطن من المآكل والملاذ ، ويتبع ذلك التّفنّن في شهوات الفرج بأنواع المناكح من الزّنا واللواط [3] .

ولا غرو والأمر هكذا أن نجد معظم الشّعراء الأندلسيين قد تورّطوا بهذا النّوع من الغزل ، سواء أكان ذلك مجاراة فنّيّة أو حقيقيّة ، ومن أشهر الشّعراء الذين ارتبطت أسماؤهم بهذا النّوع من الغزل ابن البنّي ، فقد حدّثنا في غزله بالمذكّر عن حقائق واقعة وأحداث معاشة [4] ، فقد كان (أليف غلمان) كما وصفه معاصروه .

فقد قال عنه الفتح بن خاقان : " مطبوع النّظم نبيلُه ، واضح نهجه في الإجادة وسبيله ، ويضرب في علم الطبّ بنصيب ، وسهم يخطئ أكثر مما يصيب وكان أليف غلمان وحليف كفر لا إيمان ، ما نطق متشرّعاً ولا رمق متورّعاً ، ولا أعتقد حشراً ، ولا صدَّق بعثاً ولا نشراً ، وربّما تنسَّك مجوناً وفتكاً ، وتمسَّك باسم التّقى وقد هتكه هتكاً لا يبالي كيف ذهب ولا بما تمذهب " [5] .

فلا غرو إذاً أن يخصّص معظم غزله للغلمان ، فقد توزّعت أشعار ابن البنّي في أربع وعشرين مقطوعة ، احتلّت مقطّعات الغزل النّصف فبلغت اثنتي عشرة مقطوعة غزلية ، منها تسع مقطوعات خصّصت للغزل بالمذكّر .

وكأننا به قد وقف غزله على الغلمان ، وقد اصطفى أحدهم ولقّبه بـ (الحمى) استخلصه لنفسه [6] .

وفي ذلك يقول ابن خاقان : " وكنت بميورقة فدخلها – أي ابن البنّي – متّسماً بالعبادة وهو أسرى إلى الفجور من خيال أبي عبادة [7] ؛ قد لبس أسمالاً وآنس الناس منه أقوالاً لا أعمالاً ، وسجوده هجود ، وإقراره بالله جحود ، وكانت له بسواحلها رابطة كان بلوازمها مرتبطاً ، ولسكناها مغتبطاً سمّاها بالعقيق ، وسمَّى فتى كان يتعشَّقه بـ (الحمى) وكان لا يتصرّف إلاّ في صفاته ولا يقف إلا في عرفاته ، ولا يؤرّقه إلاّ جواه ، ولا يشوقه إلاّ هواه ... " [8] .

---

[1] نفح الطّيب ، المقرّي ، ج293/4 .

[2] تاريخ ابن خلدون ، ابن خلدون ، مؤسسة جمال للطّباعة والنّشر ، بيروت – لبنان ، ج311/1 .

[3] تاريخ ابن خلدون ، ابن خلدون ، ج312/1 .

[4] الغزل في شعر ابن البني الأندلسي ، د. محمود شاكر محمود ، مجلة آداب المستنصرية ، جامعة المستنصرية ، الإصدار 55 ، 2011 2011 م ، ص2 .

[5] قلائد العقيان ، الفتح بن خاقان ، تح : د. حسين يوسف خريوش ، مكتبة المنار ، ط1 ، 1989 م ، ص868-875 .

وانظر في ترجمته :

مطمح الأنفس ومسرح التأنّس في ملح أهل الأندلس ، الفتح بن خاقان ، تح : محمد علي شوابكة ، دار عمّار ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 1983 م ، ص369 .

المغرب في حُلي المغرب ، ابن سعيد المغربي ، ج357/2 .

نفح الطيب ، المقري ، ج487/3 .

[6] الغزل في شعر ابن البني الأندلسي ، د. محمود شاكر محمود ، ص2 .

[7] أبو عبادة البحتري .

[8] قلائد العقيان ، الفتح بن خاقان ، ص875 .

الخصائص الفنية لأشعار الغزل بالمذكّر عند ابن البنّي :

في حديثي عن الخصائص الفنّيّة ، لن أفصل بين اللّفظ والتّصوير والموسيقى وإنّما سأحاول التّركيز على الجانب الأكثر بروزاً في كلّ مقطّعة .

تبوّأ الغزل بالمذكّر عند ابن البني – كما رأينا – مكاناً ملحوظاً في شعره ، فاستغرق معظم أشعاره الغزليّة ، وغزله سواء أكان غزلاً بالمذكّر أم غزلاً بالمؤنث غزلٌ مستقلٌ ومقصودٌ لذاته ، لم يكن تقليداً في مقدّمة قصائد المدح .

وفي غزله بالمذكّر نلحظه تارةً يقف على سطوح التّجربة دون أن يلجأ إلى أعماقها ، فتسيطر عليه الصّورة الماديّة البارزة ، ونراه تارة أخرى يدفعنا إلى مشاركته حالته العاطفية من خلال القلق والانفعالات التي تموج في بعض نصوصه ؛ فضلاً عن إعارته اهتماماً للحالات النفسيّة في صوره الشّعريّة .

ولقد عمد شاعرنا في هذا اللّون من القول إلى أسلوب امتاز بسهولة اللفظ وسلاسته ، واتّساق العبارات وانسجامها ، ووضوح المعاني وظهورها ، وإلى التّفنن في إبداع الصّور التي يقدّمها وكأنّه أحسَّ في أعماق لاشعوره كغيره من شعراء هذا اللون أنَّ الموضوع الذي يطرقه كريةٌ على النفس ، بعيدٌ عن الذوق ؛ شاذٌ عن طبيعة الإنسان ؛ من أجل ذلك حاول هؤلاء الشّعراء أن ينمّقوا القول فيه ، ويقدّموا معانيهم في ثوب مزركش [1] .

وابن البنّي في غزله بالمذكّر يسير في اتّجاهين ، الأوّل : وصف شكل الغلام وهيئته ، وهو في هذا الاتّجاه يردّد سمات الجمال الماديّة ؛ فيقول ذاكراً اسم محبوبه ، من الطويل :

وذي وجنةٍ وقادةِ الصّقْلِ قاسَمَتْ حياتي فبلّتْ صَقْلَهَا بجراحِي

نظرْتُ إليه فاتّقاني بمقلةٍ تردُّ إلى نحري صدورَ رماحِ

حميْتَ الجفونَ النّومَ يا رشأ الحمى وأظلمْتَ أيّامي وأنت صباحي [2]

فهو ها هنا يفصّل في وصف جمال غلامه، ويذكر محاسنه ، فالوجنة مصقولة، والمقلة قاتلة بجمالها ، ويؤكّد شاعرنا ولهه بمحبوبه من خلال المفارقة التي يجريها بين ظلام أيّامه ونور المحبوب ، المفارقة بين الخير والشرّ ، بين طهر الحبّ ودنس الخطيئة ... الشّاعر متألّم في أعماقه ، متألّم من هذا الحبّ الآثم وهذا ما تشي به ألفاظ الشّاعر الحزينة ، وكذلك حرف الرّويّ المكسور ... فالشاعر منكسرٌ أمام هذا الحبيب ؛ خاضع له لا يستطيع الانعتاق من أسره ... وهو فاتن يختال في حلل الجمال ، في قوله ؛ من الكامل :

من لي بغرّةِ فاتنٍ يختال في حللِ الجمالِ إذا مشى وحُليِّهِ

لو شبّ في وضَحِ النَّهارِ شعاعُها ما عادَ جنحُ الليلِ بعد مُضيِّهِ

---

[1] **الأدب الأندلسي : موضوعاته وفنونه ، د. مصطفى الشكعة ، ص53 .**

[2] **مجموع شعر ابن البني ، إحسان ذنون عبد اللطيف الثّامري ، مجلّة المورد العراقية ، المجلد 31 ، العدد 2 ، 2004 م ، ص92 .**

- **قلائد العقيان ، الفتح بن خاقان ، ص875 .**
- **مطمح الأنفس ، الفتح بن خاقان ، ص374 .**
- **نفح الطيب ، المقري ، ج231/4 .**

شَرِقَتْ بماء الحسنِ حتّى خَلُصَتْ ذهبيّةً في الخدرِ من فضيِّهِ

في صفحتيه من الحياء أزاهرٌ غذيَتْ بوسْميِّ الصِّبَا وَوَلِيِّهِ

سلَّتْ محاسنُه لقَتْلِ محبِّهِ من سِحْرِ عينيهِ حُسَامَ سميِّهِ [1]

فالمحبوب فاتن ، ونظرة عينيه قاتلة ، وفي البيت الأخير صورة جميلة رغم تكرارها ولكنّ الشاعر جاء بها بصورة مبتكرة جمع فيها بين سحر العيون وجمال القد الممشوق (حسام سميِّه) .

والذّوق الأندلسيّ المترف يطلّ علينا من خلال ألفاظ الشّاعر (ذهبيّة ، فضيّة) .

ولا ننسى رنّة الحزن التي توشِّي الأبيات رغم الفرح الذي يعيشه الشّاعر أو هذا ما نعتقده ، فالحزن عميق ومتأصّل ، هذا ما أوحى به حرف الهاء المكسور ، وله في غلام يرمي الطّيور ؛ من البسيط :

قالوا : تُصيب طيورَ الجوّ أسهمُهُ إذا رماها فقلنا : عندنا الخبرُ

تعلَّمَتْ قوسُهُ من قوسِ حاجبِهِ وأيَّد السَّهْمَ من أجفانه الحَوَرُ

يلوحُ في بُرْدَةٍ كالنَّقْسِ حالكةٍ كما أضاء بجنح الليلةِ القَمَرُ

وربّما راق في خضراءَ مونقةٍ كما تفتَّح في أَوراقه الزّهرُ [2]

يصف ابن البنّي غلاماً يصطاد الطّيور ، ويلحّ على نظرة العينين النّافذة تلك النّظرة التي ترمي الطّيور من السّماء ، ويستمرّ في تفصيل تلك الصّورة مستخدماً الجناس بين (قوسه من قوس) ليستكمل رسم صورته.

نجد ابن البنّي في هذه الأبيات رسّاماً يرسم لنا صورة هذا الغلام ، مازجاً الألوان البديعية مع الألوان البيانية ، مستغلاً اللون في إظهار محاسن هذا الغلام .

---

[1] مجموع شعر ابن البنّي الأندلسي ، إحسان ذنون الثّامري ، ص96 .
- قلائد العقيان ، الفتح بن خاقان ، ص869 .
- مطمح الأنفس ، الفتح بن خاقان ، ص370 . =
= – نفح الطيب ، المقري ، ج4/228–229 .

[2] مجموع شعر ابن البنّي الأندلسي ، إحسان ذنون الثّامري ، ص93 .
- قلائد العقيان ، الفتح بن خاقان ، ص875 .
- مطمح الأنفس ، الفتح بن خاقان ، ص374 .
- نفح الطيب ، المقري ، ج3/487 .

وله في غلامه (الحمى) ، من الكامل :

وكأنّما رشأ الحمى لمّا بدا — لك في مضلَّعةِ الحديدِ المُعْلَمِ

غَصبَ الغمامَ قِسِيَّةُ فأراكها — من حُسْنِ مِعْطَفِهِ قويمَ الأَسْهُمِ [1]

على الرّغم من كون التّشبيه أيسر أساليب التّصوير الفنّيّة ، ويقوم على اشتراك شيئين أو أكثر في صفة معيّنة إلاّ أنّه يأتي لدى الشّاعر مؤدّياً وظيفة أخرى غير الوظيفة الإخباريّة التّقريريّة ؛ وذلك لاكتراث الشّاعر بما لا نكترث به ، وسعيه الدّائب لتفجير الرؤى العميقة الكامنة في ما هو عادي ومألوف ، وابن البنّي فجّر مفاجأة غير متوقّعة حين شبّه قوام غلامه الرّشيق النّحيف بالفارس المدرّع الذي يمتاز برشاقته وسرعة حركته ، سواء أكان ممتطياً لحصانه أو راجلاً على الأرض ، وكذلك غلامه رشيق الجسم ، سريع الحركة ، وهو ينتقل في مجلس الشّراب ، ويسرع بين طالبي الكؤوس ، وهو بتشبيهه هذا كسر التّوقّع لدى المتلقّي وفاجأه بوجه الشبه بين غلام رقيق ديدنه الميوعة ، وفارس مدرّع سمته الخشونة [2] .

ولا ننسى هنا أنّ من المعاني الجديدة التي دخلت على الغزل الأندلسي بتأثير البيئة الجديدة ظاهرة الفروسيّة ؛ والتي تعني نوعاً من العبادة يستسلم فيه العاشق لمعشوقه ولو كان في هذا الاستسلام هلاكه ، وكلّما ازداد المحبوب تدلّلاً ازداد العاشق تذلّلاً ... ، وهذا التذلل والانكسار أوحى به حرف الرّوي المكسور .

ونجد فيما سبق كلّه أنّ لغة الشّاعر جاءت سلسلة واضحة فضلاً عن كونها رقيقة تنبض بالعاطفة .

ويكاد يشترك الشّعراء جميعاً في استخدام ألفاظ بعينها ، ويكثرون من ذكر رموز الجمال ، كالشّمس والقمر والظبي والجؤذر ...

أما الاتجاه الثاني ، ففيه يصف الشّاعر حاله وما أصابه جرّاء صدّ المحبوب ، وهنا نجده يردّد الألفاظ الموحية بذلك ؛ مثل : (الصّدّ ، الألم ، البكاء ، الدّموع ...) .

يقول ابن البنّي متغزّلاً ، من مجزوء الرّمل :

كيف لا يزدادُ قلبي — من جوى الشّوق خبالا

وإذا قلتُ : عليٌّ — بَهَرَ النَّاسَ جمالا

هو كالغصن وكالبد — رِ قَواماً واعتدالا

أشرق البدرُ كمالاً — وانثنى الغصنُ اختيالا

---

[1] **مجموع شعر ابن البنّي الأندلسي ، إحسان ذنون الثّامري ، ص95-96 .**

- **قلائد العقيان ، الفتح بن خاقان ، ص873 .**
- **مطمح الأنفس ، الفتح بن خاقان ، ص374 .**
- **نفح الطّيب ، المقرّي ، ج231/4 .**

[2] **الغزل في شعر ابن البني الأندلسي ، د. محمود شاكر محمود ، ص9 .**

إنَّ من رام سُلوّتي عنه قد رام مُحالا

لسْتُ أسلو عن هواهُ كان رُشداً أم ضلالا

قُلْ لمَنْ قصَّر فيه عَذْلَ نفسي أو أطالا

دون أن تدرك هذا تَسْلُبُ الأفقَ الهِلالا [1]

نرى الشاعر في الأبيات السَّابقة قد مزج بين الاتّجاهين ، فمحبوبه كالغصن والبدر ، ولكنّه في الوقت نفسه يكثر الحديث عن الشّوق ، وطلب الودّ مع أمل في الوصل الذي يسعى إليه جاهداً ؛ لأنَّه الحياة ، أمَّا الهجر فهو الموت نفسه ، جاعلاً مصيره بين يدي غلامه إن شاء أحياه وأسعده ، وإن شاء أشقاه وقتله ، ونجده يقصّ علينا أخباراً لا تختلف عن تلك التي يقصّها الشّعراء العذريّون عن أحوالهم مع معشوقاتهم من صدٍّ وهجر وصبابة وقلّة صبر .

ويكثر في هذا الاتّجاه الخضوع للمحبوب والتذلّل له ؛ لينال المحبّ عطفه ورضاه بلغة رقيقة منكسرة ، وهذا ما نجده في قوله ؛ من البسيط :

يا من يعذّبني لمَّا تملّكني ماذا تريدُ بتعذيبي وإضراري

تروقُ حسناً وفيك الموتُ أجمعُه كالصّقْلِ في السَّيْفِ أو كالنّور في النّارِ [2]

لعلَّ هذا الاستفهام الاستنكاري الذي لا يبغي من ورائه جواباً ، وذلك التشبيه الجميل بالسيف الجميل الذي يعجب ولكنّه يقتل ، ونور النّار الذي يضيء ولكنّه يحرق ما يؤكدان ذلك الفيض العاطفي لشاعر يموت عشقاً ، فهو يصف الجمال القاتل ، وهو خاضع له ، منكسرٌ أمامه ، وحزنه مستمرٌّ ، الأمر الذي وشى به حرف الرّاء المكسور ، فالرّاء يفيد التّكرار ، الاستمرار ، وجاء مكسوراً ليعبّر عن حزن الشاعر المستمرّ .

ويتراءى لنا الشّاعر عبر هذا الفيض العاطفي ، مكسور الجناح ، خاضعاً للمحبوب ، مستسلماً له ، ولو كان في هذا الاستسلام هلاكه ، يقول ؛ من البسيط :

وسائلٍ كيف حالي إذ مررْتُ به ومن لواحظهِ كلُّ الذي أجدُ

ولي يدٌ إذ توافقني أشدُّ بها على فؤادي وفي يمنى يديه يدُ

---

[1] **مجموع شعر ابن البنّي الأندلسي ، إحسان ذنون الثّامري ، ص95 .**

- **قلائد العقيان ، الفتح بن خاقان ، ص870 .**
- **مطمح الأنفس ، الفتح بن خاقان ، ص370 .**
- **نفح الطّيب ، المقرّي ، ج229/4 .**

[2] **مجموع شعر ابن البنّي الأندلسي ، إحسان ذنون الثّامري ، ص93 .**

– قلائد العقيان ، الفتح بن خاقان ، ص874 .

والخمر في خدِّه الوضّاحِ رونقهُ يندى وفي قلبيَ المشغوفِ يتقدُ [1]

يبدو لنا الشاعر مستسلماً لأذى المحبوب ، بل متلذذاً بهذا الألم ؛ ونراه يضفي على غزله صدقاً وعمقاً عاطفياً فيخرج من دوّامة التشبيهات المادّية وحلقة الألفاظ الفارغة ؛ لينقل لنا بشفافية مشرقة وهوس شعري ناعم أذى الحبّ (من لواحظه ، كلّ الذي أجد ، وفي قلبي المشغوف يتّقد) [2] .

فالشّاعر مستسلمٌ ودالٌّ أمام المحبوب كحرف الدّال الذي يبدو بشكله كالإنسان الدّال .. ، وإن لم يأت مكسوراً ليشيَ بحزن الشّاعر فقد جاء مضموماً معظّماً ومهوّلاً معاناة الشاعر وانكساره أمام من يعشق .

ونرى ابن البنّي هنا يتفنّن في تمويه جنس المحبوب ، وإخفاء ملامحه وصفاته ، حتّى يخيّل للسّامع أنَّ الشّاعر يصف فتاة ساحرة وليس فتى ذكراً ؛ لأنَّ العرب في معظم أشعارهم الغزلية يخاطبون الحبيبة بـ (كاف) المذكّر ، لولا القرينة (وله فيه) العائدة إلى مقطوعات سابقة ذكر فيها الشّاعر اسم هذا الغلام صراحةً لاختلط علينا الأمر .. وما ذلك إلا لإحساسه العميق ببشاعة هذا الحبّ الآثم . وقال مرتجلاً ؛ من الوافر :

تنفَّس بالحمى مطلولُ روضٍ فأودعَ نَشْرَه ريحاً شمالا

فصبَّحَتِ العيونُ إليَّ كسلى تجرّرُ فيه أردانا خضالا

أقول وقد شممْتُ التّربَ مسكاً بنفحتها يميناً أو شمالا

نسيمٌ (جاء يبعثُ) منك طيباً ويشكو من محبّتك اعتلالا

ينمُّ إليّ من زهرات روضٍ حَشَوْتُ جوانحي منها ذُبالا [3]

لقد صادفت طبيعة الأندلس الخلاّبة في نفس شاعرنا إحساساً مرهفاً وقلباً متفتّحاً ، فافتتن بها أيّما افتتان [4] ، وزاد في ولعه بها أنّها استعارت محاسنها من محاسن محبوبه ، وعبقت برائحته الطّيّبة ، بل النّسيم اعتلّ لجمال هذا الغلام

---

[1] مجموع شعر ابن البنّي الأندلسي ، إحسان ذنون الثّامري ، ص93 .

قلائد العقيان ، الفتح بن خاقان ، ص874 .

[2] الغزل في شعر ابن البني الأندلسي ، د. محمود شاكر محمود ، ص10 .

[3] مجموع شعر ابن البنّي الأندلسي ، إحسان ذنون الثّامري ، ص95 .

- **قلائد العقيان ، الفتح بن خاقان ، ص871-872 .**
- **مطمح الأنفس ، الفتح بن خاقان ، ص372 .**
- **المغرب في حلي المغرب ، ابن سعيد ، ج359/2 .**
- **نفح الطّيب ، المقرّي ، ج230/4 .**

[4] ينظر : ملامح الشّعر الأندلسي ، د. عمر الدّقاق ، دار الشّرق العربي ، بيروت – لبنان ، ص154 .

وسحره ، ووقع صريع هواه . وقد اتّحدت الطبيعة بالمحبوب وتعانقتا في نفس الشّاعر ، في مزيج عذب ، هذا الامتزاج بين الطّبيعة والمعشوق هو أقرب إلى الشّعر الرومانسيّ الذي اتّسمت به الآداب الأوروبيّة إبان القرن التّاسع عشر .
وهذا المزج بين المحبوب والطّبيعة من المعاني الجديدة التي دخلت إلى الغزل الأندلسي بتأثير البيئة الأندلسيّة .
ولعلّ أجمل ما في هذه الأبيات هو أنسنة الطّبيعة ، فقد استطاع شاعرنا أن يشخّص مظاهر الطبيعة ، وهذه الأنسنة تشي بشدّة تعلّق الأندلسيين ببيئتهم ، تلك البيئة المترفة ، المترعة بالمتع الحسيّة التي غرق فيها معظم الأندلسيين .
وممّا سبق يمكننا القول : إنَّ الشّاعر ابن البنّي – في غزله بالغلمان – متأثّرٌ ببيئته كلّ التّأثر ، وكان مجدّداً في غزله سواء من حيث المعاني الجديدة أو الخصائص الفنّيّة ، فمن حيث المعاني الجديدة نجد عنده ظاهرة الفروسيّة ، والمزج بين المحبوب والطبيعة . أمّا من حيث الخصائص الفنّيّة فقد ابتعد عن الأطر الفنّيّة القديمة ، فجاء غزله مقصوداً لذاته ، ولم يكن غزلاً تقليدياً في مقدّمة قصائد المدح مخالفاً بذلك عمود الشّعر العربي ، كما أنه جاء على شكل مقطعات .
أمّا لغته فكانت لغة رقيقة عذبة مواكبة لبيئته المتحضّرة ومجتمعه الجديد ، فقد صاغ معانيه في ثوب مزركش من اللفظ ، ويرى سيّد قطب أنّ اللفظ الشّعري يمتاز بالإيقاع الموسيقي ، وبالإيحاء فقد تستقلّ اللفظة الواحدة برسم صورة تارةً بجرسها ، وتارة أخرى بظلّها الذي تلقيه في الخيال ، والأمر نفسه في العبارة إذ أنَّ خصائص اللفظ كلّها تنطبق على العبارة ، ويزيدُ عليها التّنسيق الذي يسمح لكلّ لفظ بأن يشعّ شحنته من الصّور والإيقاع [1] ، وقد عمد كغيره من شعراء الغزل بالمذكّر إلى التفنّن في إبداع الصّور التي يقدّمها ؛ وكأنّه أحسّ في أعماق لاشعوره – كما ذكرنا سابقاً – أنّ الموضوع كريه على النّفس ، بعيدٌ عن الذوق .
ولقد أولى شعراء الغزل بالمذكّر الجانب الموسيقي أهميّة كبيرة ؛ لأنَّ أشعار الغزل هذه من الموضوعات التي نشأت في أحضان مجالس اللهو والخمر والتي عادة ما تكون مصحوبة بالموسيقى والغناء ، ممّا حدا بكثير من الشّعراء إلى اختيار الأوزان الخفيفة والقصيرة أو المجزوءة التي تلائم الغناء ... وفيما يأتي جدولاً إحصائياً يمثّل استخدام ابن البني لبحور الشّعر في مقطعاته التي تغزّل فيها بالمذكّر .

مطلع القصيدة	البحر	حرف الروي (القافية)
وذي وجنة	الطويل	بجراحِي
وسائلٍ كيف حالي	البسيط	أجدُ
قالوا : تصيب	البسيط	الخبرُ
يا من يعذّبني	البسيط	وإضرارِي
كيف لا يزدادُ	مجزوء الرمل	خبالا
تنفَّسَ بالحمى	الوافر	شمالا
وكأنّما رشأ الحمى	الكامل	المعلمِ
من لي بغرّة فاتن	الكامل	وحليّهِ
بني العُرْبِ	الوافر	السّماحِ

ولا نبالغ إذا قلنا : إنَّ النّقّاد القدامى قد فهموا علاقة الوزن بالمعنى ، أو علاقة الانفعال بالتّجربة الشّعورية والتّعبير عنها . ونلمح هذا الفهم من خلال ما أوردوه من قواعد تشير إلى ذلك ، منها ، عند قدامة : ائتلاف المعنى مع الوزن ،

[1] **ينظر : النّقد الأدبي أصوله ومناهجه، سيّد قطب ، دار الشّروق ، القاهرة – مصر ، بيروت – لبنان ، ط7 ، 1993 م ، ص34–45 .**

وائتلاف المعنى مع القافية ، ليحقّق بذلك التّناغم النّفسي الذي يحدث اللذّة عند القارئ أو السامع ، أو يكن القول : إنّ الوزن والقافية هما المسيطران على التّجربة الشّعوريّة [1] .

أما حازم القرطاجنّي فيرى أنّ لكلّ غرض شعري وزناً يوافقه ؛ فيقول : " ولما كانت أغراض الشّعر شتّى، وكان منها ما يقصد به الجدّ والرّصانة، وما يقصد به الهزل والرّشاقة، ومنها ما يقصد به البهاء والتّفخيم ، وما يقصد به الصّغار والتّحقير ، وجب أن تحاكى تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان ويخيّلها للنّفوس " [2] .

كذلك أشار إلى أهمية القافية من حيث كونها " جهة اعتناء النّفس ، بما وقع في النّهاية لكونها مظنّة اشتهار الإحسان أو الإساءة " [3] .

ولا شكّ في أنّ تكرار التفعيلات العروضية على مدى القصيدة ، ولاسيّما تكرار القافية مع ما يمكن أن يصيب هذه التفعيلات من زحاف أو علل يخلق تناغماً موسيقياً تلذُّ له أذن السّامع ... وهو ما أطلق عليه (جيروم ستولنيتز) (العَوْد) ؛ وهو ظهور العنصر نفسه في عدد من الأماكن المختلفة يجعل المستمع يشعر بإحساسٍ من التّوقّع يؤدّي إلى خلق إحساسٍ بالإلحاح و (التّرقّب) وعندما يتحقّق ما توقّعه السّامع تكتسب التّجربة مزيداً من الحرارة والمتعة [4] .

ومن إحصاء البحور التي استخدمها ابن البنّي نجد أنّه استخدم البسيط ثلاث مرات وقد سمّي بسيطاً " لانبساط الحركات في عروضه وضربه أو لأنّ الأسباب انبسطت في أجزائه السّباعيّة " [5] .

وفي العمدة أنّ الخليل سمّاه بسيطاً ؛ لأنّه انبسط عن مدى الطّويل وجاء وسطه فَعِلُنْ وآخره فَعِلُن [6] .

وهو عادة ما يقرن بالطّويل في الجلال والفخامة والشّيوع أيضاً ، وربّما فاقه رقةً وجزالة ويقوم إيقاعه على التّجاوب الجميل الناشئ عن ترداد التّفعيلتين مستفعلن وفاعلن ، وهو لا يخلو عن أحد النّقيضين العنف أو اللين ، وقد أكثر الشّاعر من استخدامه لما يتّسم به من تنوّع في الأنغام .

وتساوى الكامل والوافر من حيث استخدام الشّاعر لهما ، ويبدو أنّ لتميّز الكامل بكثرة الحركات التي تجعله من أسرع البحور في حال سلامته من الزّحافات التي تقلّل من سرعته في حال وجودها ، والصّخب الذي يتميّز به أي الجهر بالأنغام ووضوحها؛ هذه الأمور جعلته من أكثر البحور توافقاً مع معظم الأغراض الشعرية ، وكذلك الأمر فيما يتعلّق بالوافر الذي يوصف بأنّه سريعٌ متلاحق . ومن الملاحظ أنّ موضوع الغزل كان ينظم في البحور الشّعرية جميعها [7] .

ونجد شاعرنا قد أكثر من استخدام القوافي المكسورة الأمر الذي يشي بحزن الشّاعر ويشير إلى ألمه ومعاناته من هذا الحبّ الآثم ، فشاعرنا يدرك في قرارة نفسه أنّ هذا الحبّ محرّم ؛ لذلك نجده منكسراً حزيناً .

---

[1] ينظر : نقد الشّعر ، قدامة بن جعفر ، تح : د. محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ص165–167 .

[2] منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجنّي ، تح : محمد حبيب الخوجة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت – لبنان ، ط3 ، 1986 م ، ص266 .

[3] المصدر السابق نفسه ، ص271 .

[4] النّقد الفنّي ، جيروم ستولنيتز ، تر : د. فؤاد زكريا ، المؤسسة العربية للدّراسات والنشّر ، بيروت – لبنان ، ط2 ، 1981 م ، ص349–350 .

[5] العروض وإيقاع الشعر العربي ، د. سيّد البحراوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر ، 1993 م ، ص47 .

[6] ينظر : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل ، بيروت – لبنان ، ط5 ، 1981 م ، ج136/1 .

[7] مخطوط بعنوان (الفنون الأدبية في كتاب العقد الفريد وخصائصها – تقويم فنّي) ، د. وفاء جمعة ، ص204–205 .

ولا ننسى أنّ الأندلسيين تعلّقوا ببيئتهم تعلّقاً شديداً ، وكان هذا التعلّق مصحوباً برنّة من الحزن وشَّحَتْ معظم الأبيات الأندلسية ، خشية فقدان هذه البيئة المترفة ، ولم تكن الموسيقى متأتّية من الوزن والقافية فقط بل متأتية أيضاً من الألفاظ نفسها أو من تجاورها مع بعضها البعض .

وقد مرّ بنا سابقاً صفات اللفظ الشّعري الذي يمتاز بالإيقاع الموسيقي ، وقد وفّر ابن البنّي لمقطّعاته إبداعاً نغمياً توسَّل إليه باختيار الألفاظ السلسة الرّقيقة فضلاً على استخدامه المحسّنات البديعيّة ليؤثّر في المتلقّي لعلمه بأنّ موضوعه كريه على النّفس ، ومثالنا على ذلك مقطّعته التي مطلعها ، من مجزوء الرمل :

كيف لا يزدادُ قلبي من جوى الشّوق خبالا [1]

للسبب نفسه نجده قد اعتنى بالجانب الموسيقي عناية فائقة سواء في ذلك الموسيقى الخارجية أو الموسيقى الداخلية .

ويمكننا القول : إنَّ شاعرنا عبّر عن مشاعر حبّ مهذّبة في أحاسيسه ، يقف عند الحديث عمّا يكابده من لوعة وشوق، ويتحدّث عن آماله في حالتي الخيبة والتّوفيق ، إلى غير ذلك ممّا يتّصل بالموضوع من إشارات الوعود واللقاء ، والرّضى والعتب ، والقطيعة والوصال .

ولعلّ ما نسجّله لشاعرنا هو أنّه لم ينحدر بأسلوبه إلى مهاوي اللفظ الفاحش والصّورة السّخيفة ، بل ظلّ عند حدود الكلمة الجميلة والتّعبير الرّقيق والصّورة المشرقة من خلال المزج بين الحسّيّة والعذرية .

الخاتمة :

أهمّ ما توصّل إليه البحث :

1- كان وراء شيوع ظاهرة الغزل بالمذكّر في الأندلس بواعث عدّة أهمها :

أ- الباعث الفنّي المتمثّل بمحاولة الشّعراء إثبات مقدرتهم الفنّيّة .

ب- الباعث النّفسي سواء أكان هذا الباعث ناجماً عن نزعة مرضية ، أم كان ناجماً عن نزعة غير مرضية متمثّلة في سعي الشّعراء وراء الجمال حيث كان ووصفه سواء كان ذكورياً أو أنثوياً .

ج- الباعث الاجتماعي المتمثّل بقبول المجتمع الأندلسي لهذا الغرض .

2- كان مجدِّداً في غزله سواء من حيث المعاني الجديدة أو من حيث الخصائص الفنّيّة ، فمن حيث المعاني الجديدة نجد عنده ظاهرة الفروسية ، والمزج بين المحبوب والطّبيعة ، أمّا من حيث الخصائص الفنّيّة فقد ابتعد عن الأطر الفنّيّة القديمة فجاء غزله مقصوداً لذاته ، ولم يكن غزلاً تقليدياً في مقدمة قصائد المدح مخالفاً بذلك عمود الشّعر العربي ، كما أنّ شعره الغزلي جاء على شكل مقطّعات .

3- كانت لغته رقيقة عذبة مواكبة لبيئته المتحضرة ومجتمعه الجديد ، ولم ينحدر بأسلوبه إلى مهاوي اللفظ الفاحش والصّورة السّخيفة ، بل ظلَّ عند حدود الكلمة الجميلة والتّعبير الرّقيق والصّورة المشرقة من خلال المزج بين الحسيّة والعذريّة .

4- حظيت الصّورة الفنّيّة عنده بعناية كبيرة من حيث البحث عن الجدّة والابتكار .

5- كان للموسيقى الخارجيّة والدّاخلية النّصيب الأوفر من عناية الشّاعر .

[1] **مجموع شعر ابن البنّي الأندلسي ، إحسان ذنون الثّامري ، ص95 .**

المصادر والمراجع

1- الأدب الأندلسي : موضوعاته وفنونه ، د. مصطفى الشكعة ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان .

2- تاريخ ابن خلدون ، ابن خلدون ، مؤسسة جمال للطّباعة والنّشر ، بيروت – لبنان .

3- ديوان ابن شُهيد الأندلسي، تح : يعقوب زكي ، راجعه د. محمود علي مكي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة – مصر .

4- ديوان الموشحات الأندلسية ، ت: د. سيّد غازي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، مصر ، 1979 م .

5- ديوان يحيى بن الحكم الغزال، تح : د. محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت – لبنان ، دار الفكر ، دمشق – سورية ، ط1 ، 1993 م .

6- رايات المبرّزين وغايات المميزين، أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد الأندلسي ، تح : د. محمد رضوان الداية ، دار طلاس للدّراسات والترجمة والنّشر ، دمشق – سورية ، ط1 ، 1987 م .

7- الشعر في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، د. أحمد عبد الستّار الجواري ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت – لبنان .

8- الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، تح: أحمد محمد شاكر ، دار الحديث ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 1996 م .

9- طوق الحمامة في الإلفة والألاف ، ابن حزم الأندلسي ، تح : د. الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط3 .

10- العروض وإيقاع الشعر العربي، د. سيّد البحراوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر ، 1993 م .

11- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل ، بيروت – لبنان ، ط5 ، 1981 م .

12- قلائد العقيان ، الفتح بن خاقان ، تح : د. حسين يوسف خريوش ، مكتبة المنار ، ط1 ، 1989 م .

13- لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

14- مطمح الأنفس ومسرح التأنّس في ملح أهل الأندلس ، الفتح بن خاقان ، تح : محمد علي شوابكة ، دار عمّار ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان .

15- المغرب في حُلَى المغرب ، (صنّف بالموارثة) ، أشهرهم ابن سعيد ، تح : د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط2 ، 1964 م .

16- ملامح الشّعر الأندلسي ، د. عمر الدّقاق ، دار الشّرق العربي ، بيروت – لبنان .

17- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجنّي ، تح : محمد حبيب الخوجة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت – لبنان ، ط3 ، 1986 م .

18- نفح الطيب ، المقري ، تح : د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت – لبنان .

19- النّقد الأدبي أصوله ومناهجه ، سيّد قطب، دار الشّروق ، القاهرة – مصر، بيروت – لبنان ، ط7 ، 1993 م .

20- نقد الشّعر ، قدامة بن جعفر ، تح : د. محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان .

21- النّقد الفنّي ، جيروم ستولنيتز، تر : د. فؤاد زكريا ، المؤسسة العربية للدّراسات والنشّر ، بيروت – لبنان ، ط2 ، 1981 م .

المقالات والكتب الالكترونية

1- أقسام الغزل في الشعر العربي ، الكاتب : أوان الورد ، نشر في 2011/11/26 م .

2- الشّذوذ الجنسي ... أوهام علمية ، د. نادية العوضي ، الصحّة والطّبّ البديل / العربية / علوم وتكنولوجيا ، نشر في 2001/9/8 م .

3- الغزل بالمذكّر في الشّعر الأندلسي – بواعثه وخصائصه ، م.م جنان خالد ماهود ، جامعة بغداد ، كلية العلوم الإسلامية ، مجلّة كلية العلوم الإسلامية .

4- الغزل في بلاد الأندلس وشعراؤه منهم ابن زيدون ، فالح الحجية ، نشر بتاريخ 24 / 4 / 2011 م .

5- الغزل في شعر ابن البني الأندلسي ، د. محمود شاكر محمود ، مجلة آداب المستنصرية ، جامعة المستنصرية ، الإصدار 55 ، 2011 م .

6- مباهج الأندلس ، محمد بن عبد الرحمن بن بشر ، نشر بتاريخ 2012 م .

7- المجالس الشّعريّة في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة 93 هـ – 422 هـ ، د. أزاد محمد كريم الباجلاني ، نشر بتاريخ 2013 م .

8- مجموع شعر ابن البني ، إحسان ذنون عبد اللطيف التّامري ، مجلّة المورد العراقية ، المجلد 31 ، العدد 2 ، 2004 م .

المخطوطات

1-رسالة دكتوراه بعنوان (الفنون الأدبية في كتاب العقد الفريد وخصائصها – تقويم فنّي) ، د. وفاء شحادة جمعة ، 1999 م .